الفنون العقلية في مصر[1]

عرضت مصنوعات تلاميذ مدرسة الفنون والصنائع السلطانية ولم تكتسب الجرائد من عربية وافرنجية عن هذا المعرض الجميل الأ شيئاً قليلاً ولربما يستغرب بعض محرري الجرائد اذا علم بوجود مدرسة تضم بين جدرانها نحو خمسين طالباً مجدين مجتهدين في انماء ما خلق فيهم من حب الفنون الجميلة بارشاد استاذ متضلع ومساعديه

ومن نظر نظرة عامة الى اعمال التلاميذ مدة السنة وخصوصاً ما صنع في الاسبوع الاخير لامتحان الدبلوم ظهر له جلياً ان نصيب مصر من المواهب الفنية مولود بين جدرانها ولكن نقطة البحث هي هل طريقة التعليم المدرسية الحالية تكفي للدلالة على كل اصحاب هذه المواهب المتفرقين في انحاء القطر؟ وعندنا ان مواهب مصر الفنية لا تظهر ولا يمكن التنقيب عنها قبل ان ينال كل ولد مصري قسطاً من التعليم لاختبار قواه العقلية ولربما تجد الموهبة في اولاد الفلاحين و بناتهم او بين ابناء النجارين او الحدادين او البناءين او في البنات الفقيرات من خياطات وغسالات لانها لا تستقر في عقول فئة مخصوصة من الناس فهي تولد حيثما تشاء وعندها الفقير والباشا والفلاح على السواء

تنتخب مدرسة الفنون والصنائع في الوقت الحاضر تلاميذها من تلاميذ المدارس الابتدائية الذين لم ينالوا حظاً من التعليم يساعدهم على تمضية اختبار في علوم لها علاقة بالفنون فالمسألة موكولة للحظ لو انتجت المدرسة احياناً تلاميذ من النوع المطلوب . ان العالم اجمع في احتياج للرجال ذوي المقدرة والكفاءة فيجب على مصر ان تفرزهم من بين سكانها باكتشاف احسن الطرق لتعميم التعليم لجميع طبقات ابنائها و بناتها

يلوح لي ان الحرف الاولية في المدرسة هي الحياكة والحدادة وخراطة الخشب وعلى ظني ان الحياكة تأخذ المرتبة الاولى لاهميتها وحسن نقوشها واتقان قطع السجاد صنع التلاميذ ولتلوها الحدادة كعواميد السلم وقوائم المصابيح والشمعدانات والسماعات وغيرها . ثم خراطة

---

(١) من مقالة لجناب المستر روبرت وليمز المهندس المعماري وعضو بالجمعية الملوكية البريطانية للمهندسين المعماريين نشرت في مجلة الاركيتكت وعربها حضرة حسان افندي عبد السيد المهندس المعماري الحائز على دبلوم كلية الجامعة بلندن

الخشب وتعمل ارانيك من القطن . وتشير الاعمال التي عملت في هذه الحرف بمستقبل حسن في التصميم وحسن التصويرات الجديدة والذوق الجميل . وكثيراً من التلاميذ يدرسون من الزخرفة ويظهرون استعدادهم الوراثي للزخرفة بالالوان القاتمة التي هي من ميزات وطنهم ولهم فيها نقوش جميلة . ان زخرفة الميطان والسقوف تفقد السكينة التي يحب الانسان ان يراها في المنازل الانكليزية . والالوان القاتمة توافق الطقس المصري الا اننا نوجه انظار التلاميذ الى استعمال صبغات اخف واهدأ والى عمل ارانيك مجسمة من نقوش وزخارف السقوف . عرضت ايضاً موبليات كطاولات وكراسي وعلب للشاي وبراويز للصور والنياشين منقوشة نقشاً بديعاً مما يدل على ان التلميذ يستعمل آلات العمل بسهولة ومقدرة وهي من علامات المستقبل الباهر ويرجع الفضل في جميع هذه المعروضات الى المستر ستورت الذي استلم نظارة المدرسة من مدة قريبة لا تتعدى الاربع سنوات وذلك لشدة اعتنائه بتعليم التلاميذ فن الرسم والتصميم بنفسه او بملاحظته . لذلك خطت مدارس الفنون والصنائع خطوة واسعة ولا بدع اذا نظرنا الى المستقبل بعين ملؤها السرور والارتياح . وامام المدرسة مستقبل باهر اذا اخذت على عاتقها تعليم حرف وصنائع حديثة واحياء الحرف القديمة فان جميع الحرف والصنائع تقريباً التي تمارس في اوربا الآن قد مورست في مصر في زمن من الازمان على نوع ما كما يظهر جلياً لمن ينتقد الاثار الموجودة في دار التحف المصرية ودور التحف في المدن الاوربية والاميركية

فالحياكة في احدى الحرف المصرية القديمة العهد جداً لكنها قابلة للتحسين ويسرنا ان مدرسة الصنائع سائرة في تحسينها . ففي المحلة الكبرى حائك من يوركشير بانكلترا يعلم التلاميذ احسن الطرز الحديثة الجميلة والانسجة الحريرية المطرزة بنقوش من الصناعات المصرية القديمة التي اضمحلت ولكنها ابتدأت في النمو . وفي وقت قريب ترى اكثر الطاولات في المنازل المصرية مغطاة بهذا الصنع المنزلي الجميل . ويحسن الفوربي الاوربي عملاً اذا لم يقاوم هذا التيار والا كسدت تجارته فكما نمت مصر احتياجاتها بنفسها زادت تجارتها مع اوربا لكثرة البضائع التي يمكن التبادل بها

البلاد المصرية هي ام النول اليدوي فالنول موجود تقريباً في جميع القرى المصرية فيجب ان لا يستبدل بآلات النسج الضخمة مهما حسن النسج بها . حسن النول ولكن ابق الصناعة في القرى . صنع قدماء المصريين الزجاج والمصري الحديث يحب الزجاج الملون فيلزمه الاقبال على صناعته في المدرسة ليس بالوان اولية زاهية بل بظلال هادئة جميلة

بالوان كالتي تظهر في سياه مصر عند غروب الشمس . ويلزم التلميذ ان يكون سريعاً في ملاحظتها واقتباس الوانها لانها لا تستمر طويلاً . ويلزمه ايضاً ان يبكر احياناً ليراقب الالوان الرقيقة التي تظهر بلون وردي عند الفجر على الجبل الاحمر مثلاً . هذه البلاد بلاد الخزف فيمكن صنع فخار لامع وآنية مزخرفة واشياء اخرى جميلة لوجود كمية وافرة من الطين الصالح للاستعمال . يوجد في مصر كمية وافرة من الاحجار النادرة كالالبستر والجرانيت (الاحمر والاسمر) والمرمر وغيرها فما هي الاشياء التي لا يمكن الصانع والناحت ان يعملها منها ؟

توجد مجموعة نفيسة من المعادن في دار التحف الجيولوجية فيجب على التلاميذ درسها والتأمل في نقوش اجزائها البديعة التي يدل جمالها وحسن بنيانها على ان الانسان قلدها في احسن ما صنع . ويتساءلون حل هذه النقوش والزخارف الطبيعية الجميلة دليل على منبع الفنون ؟ وهل رسمها مهندس ماهر ؟

مدرسة الفنون والصنائع لا بد من تقدمها فيجب على الشعب المصري ان يميل الى الصناعات الفنية التي تعمل في وطنه ويفسح المجال لذوقه الفني الذي اشتهر به اهل هذا الوادي من زمان طويل

ابان الاستاذ بيتري في كتابه النفيس عن النقوش المصرية القديمة انها اساس كل النقوش في دورها الاول والتلميذ المصري وارث لهذه الملكة ويقول اوليت في كتاب مفيد له « في الحقيقة ليس في الصناعة المصرية شيء يدل على تفوق ومهارة » وقال ذلك عن حرفة الصناع الذين صوروا بالالوان والحفر اشكال ملوك واناس ومصورين ومهندسين وكهنة وعمال اثناء اعمالهم العديدة للزراعة وايضاً رسموا الحيوانات والطيور والاسماك وجميع حركات الرجال والنساء اثناء الحرب والسلم . وعملوا من آلاف من السنين كيف يرسم الفرس في عدده . فهؤلاء الذين عملوا هذه الاعمال الجيدة باتقان وعناية حتى بقي الشيء الكثير منها على ما هو عليه من الجمال بالخط والتظليل كما كان منذ آلاف من السنين لجديرون بان يقال عنهم انهم صناعون مهرة . ثم يتكلم في موضع آخر عن الهندسة المعمارية العربية (وهو بمثابة العصر الحالي بالمقارنة مع تاريخ المصريين الاول) فيوجه انتباه الكلام الى بناي العرب ومهندسيهم المعماريين فيذكر اتقان المباني التي بالطوب وسقوطها ويندد بكيفية بنائها عاريا صفحا عن المباني الحجرية الضخمة والعقود الحادة والكرانيش العظيمة التي في جامع السلطان حسن او المباني التي بنيت بالاجر (الطوب الاحمر) من احد عشر قرناً مضت في جامع ابن طولون . وغرض الكاتب من بحثه في الفنون المصرية في

العهد القديم والمتوسط بلا شقة هو بيان ان الفنون والحرف تظهر حياة الانسان واخلاقهُ وهذا البحث مفيد جدًّا لتلاميذ الفنون الجميلة لحياتهم واخلافهم تظهرُ في صنع ايديهم ويمكنهم ان يحسنوا او يفسدوا جمال الأثر الذي سيُركونهُ بعدهم . ويقول الكاتب ان عدم التغيير في شكل حرف المصريين القدماء وعدم مللهم من التكرار سببهُ « ظل النيل » فهو يظن ان فيضان النيل سنويًّا جعل الفنون المصرية القديمة واقفة لا تتقدم ولست ادري لماذا اثر انتظام الحرث والبذر والري والحصاد والدراس والطحن والخبز تأثيراً شيئًا في الذوق وفي نفس الكاتب ؟ فانهُ اذا فقد الناس عامة والمصري خاصة نظام الحصول على القوت فماذا يكون مصيرهم . فجمال النيل وعظمتهُ تظهران في وفائهِ بالوعد القديم وكأنهُ قال لابنائهِ جدوا واجتهدوا في فنونكم رقوا الطير وغليظي الجلد انقشوا عظات على الحجر ليقرأها من يعيشون على جانبيَّ والسائحون الذين يؤمون شاطئيَّ بعد آلاف من السنين وانا اكفيل لكم باكثر مما تحتاجون اليهِ من الخبز . فهل هذا ظلٌّ من النيل كلاَّ وانما هو حنان الام ورقة قلبها

بنى العرب جامع احمد بن طولون بالاجر للصنوج في موضع قريب يوافيكم الجميلة والعقد البديع التناسب محمولة على عواميد مستطيلة القاعدة ولكن زواياها مستديرة بقاعدة ثلاثة ارباع الدائرة ولا يزال الى يومنا هذا . ومن الغريب ان رباط الطوب المستعمل هو ما يسمى بالرباط الانكليزي (english bond) وهو اقوى الاربطة ولذا لا يوجدون ولا اضمحلال في البناء كما قال الكاتب المشار اليهِ فان العقود والمواعيد بنيت لتعيش الى الابد . لم يأت بنَّاؤون انكليز ليعلموا العرب هذه الطريقة فمتى تعلموها اذا ؟ الجواب سهل وواضح فانهم تعلموها من الكرنك الذي بني منذ الوف من السنين واستمرت هذه الطريقة التي يحق لنا ان نسميها الطريقة المصرية القديمة بدلاً من الانكليزية مستعملة الى ان استعملت الطريقة الفلمنكية ولربما اول من استعملها في مصر الفرنسيس وقد ابتدأت الطريقة الانكليزية تأخذ مركزها الاصلي من الشيوع للتقدم المحسوس المستمر في البناء بالطوب

اني الاحظ البائع في الشوارع يزين عربتهُ بخوص جميلة وبديعة والنتاش العامي يجتهد ان يحكي حكايتهُ برسوم ملونة على جدران عشتهِ والفخاري المصري يصنع قللهُ في اشكال بديعة والنساء لم تزل تطرز اشكالاً ونقوشاً جميلة بالابرة (كورشيه) وعندهنَّ ايضاً ذوق سليم في انتقاء خطيهنَّ وقد مضى عليَّ هنا نحو الاربع عشرة سنة والعمال المصريون خصوصاً يقدرون رسومي وتصميماتي حق قدرها ويسألني بعضهم ان التي عليهم دروساً عن طريقة البناء الجديدة وذلك اني اضطررت مرة ان اهدم جزءاً من حائط بنى بدون ملاحظة الاربطة

وكان البحارون المصريون والاوربيون مشتركين في الغلظة ثم في ثانية بالرباط الانكليزي فكان سروري عظيماً حينما اتى بحارون مصريون يطلبون ان القي عليهم دروساً و يقولون « احنا عاوزين درس منك انت » فالقيت عليهم بعض تعليمات وايضاحات عن البناء بالطوب وحذرتهم من العلاطات السهل الوقوع فيها . ولم تكن هذه الرغبة عند البحارين فقط بل النجارين ايضاً حضروا الى مكتبي لسماع دروس في النجارة . وهذه علامات تبشر بالخير وتحيي الامل بالنهوض المصري

باب التقريظ والانتقاد

تقويم النيل

لواضعه صاحب السعادة امين سامي باشا

هذا كتاب الشهر في نظرنا بل كتاب السنة بل كتاب القرن والقرنين لاننا لم نر كتاباً عربياً انشئ في هذا القرن او الذي قبله يضاهي هذا الكتاب في مقدار ما بذله مؤلفهُ الفاضل من التعب والعناء في جمع موادهِ وتنسيقها وتبويبها واستنتاج النتائج منها فقضى خمساً وعشرين سنة يستقرئ ويجمع ويقابل ويلخص ويستنتج ولم يكتفِ بما وجدهُ في خزائن الكتب المصرية بل بحث في خزائن الكتب الاوربية وكلف بعض اصدقائهِ البحث والتنقيب واقام اياماً عديدة في دار الكتب الاهلية بباريس يغدو اليها في الصباح ويعود منها في المساء ويقضي النهار كلهُ باحثاً محققاً ملخصاً . فكانت نتيجة هذه الاعمال الشاقة والبحث المستمر كتاباً كبيراً في ثلاثة مجلدات ظهر المجلد الاول منها الآن وفيهِ مقدمة مسهبة تقلأ ١٣٤ صفحة كبيرة جداً واكثرها بالحرف الدقيق وفيها كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بالنيل وفيضانهُ من سنة ٢٠ هجرية الى سنة ١٣٠١ منقولة عن كتب شتى للمقابلة بينها . واستنتاج ما يصح التعويل عليهِ من هذه الجداول

مثال ذلك . جدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٢٠ هجرية لغاية سنة ٨٥٥ هـ لجامعهِ كاترمير نقلاً عن كتاب النجوم الزاهرة

وجدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٨٥٦ هجرية الى سنة ٨٧٠ عن النجوم الزاهرة رأساً